التصورات الاجتماعية للعقم من خلال تحليل محتوى الأمثال الشعبية

الأستاذ: محمد بن خلفة، جامعة بسكرة، الجزائر

الأستاذ الدكتور: الطاهر إبراهيمي، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

يعتبر الإنجاب أحد معايير النجاح في الأوساط العربية والإسلامية، حيث باركه الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو رمز للاستمرارية، وعنصر أساسي وهام في تكوين العائلة، وإعطاء المكانة الاجتماعية للفرد. وإذا لم يتحقق هدف الإنجاب نجد انفسنا أمام ظاهرة العقم الذي كان ولا يزال سببا في معاناة العديد من الأزواج، وخاصة مع الموقف الاجتماعي من العقم والذي يتحدد في مجموعة من التصورات، هذه التصورات الاجتماعية عن العقم والإنجاب يتم نقلها من جيل لأخر عن طريق اللغة، متمثلة في عديد الأمثال و الحكم الشعبية .

Abstract:

The reproduction is one of the standards for success in the Arab and Islamic communities, where it blessed by Prophet Muhammad (peace be upon him), he is a symbol of continuity and a key element and important in family building , and give the social status for the individual. And if not achieved procreation goal, we find ourselves faced with the phenomenon of infertility, which was and is still the cause for suffering of many couples, especially with the social situation of infertility, which is determined in a range of scenarios, and these social representations about infertility and reproduction are transferred from one generation to another through the language, represented in many popular proverbs.

مقدّمة:

المورثات التراثية الشعبية التي تتعلق بموضوعات مثل الزواج والإنجاب عديدة في تراثنا الشعبي. ويعد الانجاب من القيم الاساسية في مجتمعاتنا العربية، ومنها المجتمع الجزائري، بل وتسعى المرأة اليه ويكون هو هدفها الأول في الحياة، فهو الذي يعزز مكانتها في الأسرة وفي حياتها الزوجية، فمن وجهة نظر المجتمع فالمرأة التي لا تنجب هي امرأة غير جديرة بالحياة الزوجية، فمكانة المرأة تحددها قدرتها على الانجاب.

ففي الزواج ينظر الى عدة قيم عند اختيار الزوجة كالدين، المال، الجمال إلا أن هذه القيم تتراجع أمام قيمة انجاب الأطفال وخاصة الذكور فهو أمر ذو قيمة أساسية، فالأنوثة والحمل والأمومة ثلاث مراحل أساسية عند المرأة يقابلها في تاريخ الرجل الذكورة، الانجاب، الأبوة، ولقي هذا الموضوع اهتماما كبيرا من قبل الباحثين فقد عبرت عنه عدة أشكال من مورثاتنا الشعبية مواكبة لتنامي الاهتمام بقيمة الانجاب، لما لها من أهمية قصوى في تخليد اسم العائلة.

ومن بين هذه المورثات الشعبية نجد الأمثال الشعبية، والتي يعرفها (الفرابي) على انها " ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء"، [1]، وتعد الأمثال الشعبية بمثابة حكمة المجموع وناتج خبراته في الحياة، بل لا نستطيع دراسة شخصية قومية الا بمساعدة الامثال التي تجري على ألسنتنا، فهي تعكس مشاعر الشعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها وعاداتها وتقاليدها ومعظم مظاهر حياتها وتصوراتها، فهي صورة حية في دلالة انسانية شاملة، فهي تمثل ذاكرة الشعوب لتميزها بسرعة الانتشار والتداول من جيل الى آخر، ومن لغة الى اخرى عبر الأزمنة والأمكنة ،بالإضافة إلى إيجاز نصها وكثافة معانيها .

و حظيت الأمثال بعناية خاصة في الثقافة العربية، فنجد (ابن الأثير) يشير إلى أهميتها بقوله": الحاجة اليها شديدة، وذلك أن العرب لم تصغ الامثال الا

لأسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها ،فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كعلامة يعرف بها[2].

ومادام المثل يعتبر كعلامة للموضوعات التي يعبر عنها كعلامة للموضوعات التي يعبر عنها فمن بين هذه الموضوعات العقم الذي يعتبر مشكلة حيث قد يتسبب للفرد المصاب بها بجرح نرجسي، وانقطاع السلالة خاصة بالنسبة للذكور لأن نظام الأسرة في المجتمع الجزائري يقوم على السلطة الأبوية وعلى خط الذكور.

لذلك جاءت هذه الدراسة لأجل رصد التصورات الاجتماعية للعقم، من خلال تحليل المحتوى الأمثال الشعبية ذات الصلة بهذا الموضوع، والتي تحمل المعاني الاجتماعية التي تتفاعل في تنظيم هذه المشكلة كموضوع اجتماعي وكخبرة معيشة، وللوصول الى ذلك تم طرح التساؤل التالي: ما السائد في تصورات العقم كما تناولته الأمثال الشعبية؟

يتفرع عن هذا التساؤل تساؤلين فرعيين هما

- ✓ ما ترتيب تصورات العقم كما تناولته الأمثال الشعبية؟
- ✓ هل تتأثر تصورات العقم كما تناولته الأمثال الشعبية بالجنس ؟

➢ **أهمية وأهداف الدراسة:**

تستمد الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع محل البحث، حيث أن التصورات الاجتماعية للعقم تحيل لفهم مختلف الاستجابات غير الطبيعية للأزواج فاقدي القدرة على الإنجاب، ومن ثمة فإن الفهم العلمي للتصورات يسهم في توفير مجال لتحسين وضع الازواج نفسيا واجتماعيا.

تهدف الدراسة للتعرف على ترتيب التناول في محاور العقم، و استنتاج التناول السائد، كما تهدف إلى التعرف على الجنس المؤثر في العقم تبعا للتناول.

- **تحديد مفاهيم الدراسة:**

اعتمدت دراستنا على عدة مفاهيم سنحاول تحديدها كما يأتي:

- **التصور الاجتماعي:** التصور الاجتماعي هو في الأساس تصور نفسي ينبع من الذات ثم يتلون بالشكل الاجتماعي عندما ينتقل الى مستوى الممارسة والعمل.
- **العقم:** وهو عدم القدرة على الإنجاب ونقصد به في هذه الدراسة عدم الانجاب نهائيا.

التحديد الإجرائي لأبعاد شبكة التحليل

- **بعد المفهوم:** ونقصد به في هذه الدراسة سلبية الذات أو ايجابياتها ونتوصل إليه من خلال تحليل محتوى الأمثال الشعبية ذات الصلة بموضوع العقم، وتحدده التكرارات على شبكة التحليل المصممة للدراسة الحالية.
- **بعد السبب:** ونقصد به في هذه الدراسة الجنس المتسبب في العقم (ذكر أو أنثى)، ونتوصل اليه من خلال تحليل محتوى الامثال الشعبية ذات الصلة بموضوع العقم، وتحدده التكرارات على شبكة التحليل المصممة للدراسة الحالية.
- **بعد الأثر:** ونقصد به في هذه أما في الجرح النرجسي والجرح الاجتماعي يكون تأثيره أكثر على الذكر أم الأنثى، ونتوصل إليه من خلال تحليل محتوى الأمثال الشعبية ذات الصلة بموضوع العقم، وتحدده التكرارات على شبكة التحليل المصممة للدراسة الحالية.
- **بعد النتيجة:** ونقصد به في هذه الدراسة الجنس أن العقم ترجع نتائجه السلب أكثر على الذكر أم الأنثى، ونتوصل إليه من خلال تحليل محتوى الأمثال الشعبية ذات الصلة بموضوع العقم وتحدده التكرارات على شبكة التحليل المصممة للدراسة الحالية.

بعد المفاضلة بين الجنسين : ونقصد به في هذه الدراسة الجنس الذي يفضل انجابه في الوسط، ونتوصل إليه من خلال تحليل محتوى الأمثال الشعبية، ذات الصلة بموضوع العقم وتحدده التكرارات على شبكة التحليل المصممة للدراسة الحالية.

منهج الدراسة : تدخل هذه الدراسة في مجال الدراسات الوصفية التحليلية والتي تهتم بوصف المشكلة المدروسة وتحليلها إلى مجموعة العوامل المكونة. ولما كان المصدر الأساسي للبيانات هو الأمثال الشعبية أصبح من اللازم اعتماد منهج تحليل المحتوى كمنهج مناسب لتحقيق أهداف الدراسة.

عينة الدراسة: تكونت العينة من خمسة وعشرين مثلا شعبيا ذات صلة بموضوع العقم، والتي يغلب تداولها في منطقة بسكرة وهي :

- عاقر وتناقر.
- طبة حلاس خير من لمرى ليمتضناش.
- لي يجيب ويموت خير من عقر مسموط .
- أنا نشكيلو بالعقر وهو يقولي ولادك قداش .
- لي عايش في الدنيا بلا ولاد شغل ماء جرى في واد .
- لي جاب ماتهنى ولي ماضنى بات ساري .
- لي جاب ما مات.
- خالي دار .
- طفلة ولا العقر ومعزة ولا الفقر .
- الفقر ولا العقر .
- زينة بلاكحل مقبولة بلاطفل؟ .
- هنيتك ياعاقر وانت ماهنيتش روحك.

- سعد العاقر ماتضناش جيابة لولاد بلاش.
- طفل اعوج ولا مكانش خلاص.
- ماخلاش الثرياه .
- ماخلاش الزريعة.
- مايثريش.
- مايولدش.
- ماكي تل فيك الكسرة وماكي صحرة فيك الوسرة .
- يخليها للوراثة.
- تروح صداقات وماتروحش للوراثة.
- شجرة بلاثمرة.
- لي جابت ماماتت.
- خلالها لعمارة.

أداة الدراسة:

تتمثل في الجدول الأتي:

أبعاد التحليل / محاور التحليل	القرارات		تناول مباشر	تناول غير مباشر
المفهـــــوم	ايجابية الذات			

	سلبية الذات			
السبب	ذكر			
	أنثى			
النتيجة	ذكر			
	أنثى			
الأثــر	ذكر			
	أنثى			
المفاضلة بين الجنسين	ذكر			
	أنثى			

أبعادالتحليل :

يعتمد تحليل محتوى الأمثال الشعبية عل شكل التناول، ونعني بها كيفية التعبير عليها بشكل مباشر (صريح)أو غير مباشر (ضمني)، والجدول التالي يبين التحديد الإجرائي لكيفية التعبير الخاصة بكل بعد من أبعاد التحليل.

جدول رقم (2) يبين التحديد الإجرائي لشكل التناول :

شكل التناول	التناول المباشر (صريح)	التناول غير مباشر (ضمن)
الألفـــاظ المستعملة	ويتمثل في الاستعمال المباشر للألفاظ : ✓ عاقر ✓ ماتضناش ✓ عقر ✓ يجيب ✓ ماتضناش ✓ ماضنى ✓ جاب ✓ جابت ✓ ماجابتش	ويتمثل في استعمال الألفاظ : ✓ دار لبنات ✓ بلاولاد ✓ خالي دار ✓ بلاطفل ✓ ماكانش ✓ الثرايا ✓ الزريعة ✓ لعمارة ✓ مايثمرش ✓ صداقات ✓ بلاثمرة

الشروط السيكومترية لأداة التحليل:

تم إخضاع أداة الدراسة لشروط القياس النفسي لضمان أعلى درجة ممكنة من المصداقية في نتائج الدراسة.

الصدق :

اعتمد الباحث على صدق المحكمين باعتباره

أكثر جدوى وتعبيرا عن صدق الأداة أو التحليل وذلك بالنظر إلى مجموع الاستشارات الممكنة حال التحكيم والتي تخص :

- ✓ الحكم على المتغيرات الأساسية للدراسة وتوظيفاتها الاجرائية .
- ✓ الحكم على أساليب القياس ومدى ملائمتها لأهداف الدراسة
- ✓ الحكم على بعض جوانب المنهجية العامة[3].

اجراءات التحكيم :

تم عرض استمارة التحليل على ثلاثة أساتذة من رتبة أستاذ محاضر وتضمنت الاستمارة ما يلي :

- ✓ إشكالية الدراسة وتساؤلاتها.
- ✓ التعاريف الإجرائية لمتغيرات الدراسة.
- ✓ أبعاد ومحاور التحليل.
- ✓ جدول التحليل المقترح للدراسة.

نتائج التحكيم:

كانت نتائج التحكيم موافقة على تطبيق استمارة التحليل كماأعدت في صورتها الأولية.

الثبات:

اعتمد الباحث على أسلوب اعادة التحليل حيث تم تحليل مجموعة من الأمثال الشعبية من قبل محللين، ثم عرض النتائج لحساب معامل الثبات.

معامل الثبات = ن (متوسط الاتفاق بين المحكمين) / 1(ن-1) (متوسط الاتفاق بين المحكمين)

ن= عددالمحللين

- متوسط الاتفاق بين المحللين : ويحسب بين كل محللين على حدى
- متوسط الاتفاق = 2 (عدد الفئات التي يتفق عليها المحللان)/ عدد فئات التحليل الكلية .(اسماعيل رابحي،2013، 345)
- حيث كان معامل الثبات يساوي 0.80

المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة :

بالرجوع إلى تساؤلات الدراسة ثم الاعتماد على التكرارات والنسب المئوية

عرض نتائج تحليل الامثال الشعبية:

جدول رقم (03) يبين نتائج التحليل:

أبعاد التحليل / محاور التحليل		بعد التنـــــاول				
		صريح	ضمني	مجموع	النسبة	الرتبة
المفهوم	سلبية الذات	11	14	25	100%	1
	ايجابية الذات	00	00	00	00	2
	المجموع	11	14	25	100%	1
السبب	ذكر	04	08	12	48%	1
	أنثى	04	05	09	36%	2
	المجموع	08	13	21	84%	3

النتيجة	ذكر	06	08	14	56%	1
	انثى	05	06	11	٪44	2
	المجموع	11	14	25	100%	1
الأثر	ذكر	06	08	14	56%	1
	أنثى	05	05	10	40%	2
	المجموع	11	13	24	96	2
المفاضلة بين الجنسين	ذكر	01	07	08	32%	1
	أنثى	00	00	00	00%	2
	المجموع	01	07	08	32%	4
المجموع		42	61	103		

من خلال الجدول السابق يتضح ان محور مفهوم الذات استغرق جميع الامثلة اي نسبة 100% وان سلبية الذات هو ما يميز العقيم حيث كانت نسبة سلبية الذات 100% , بتناول مباشر بنسبة 44% (11مرة) وتناول غير مباشر 14مرة (56%) .

فالإنجاب يعتبر احد معايير النجاح في الأسرة الجزائرية والعربية عموما، لأن الانجاب يعتبر رمزا للاستمرارية وللصراع للبقاء، ولذلك فالفرد لا يأخذ

مكانة اجتماعية الا بالإنجاب، فالإنجاب مرادف للخصوبة والحياة، والعقم للقحط والعدم لذلك يتميز العقيم بسلبية الذات والشعور بالنقص. وهذا ما وضحته " زهرة عباسي " بقولها :(لهذا فبالزواج يأمن الفرد مكانته الاجتماعية من خلال انجاب عدد من الاطفال ينتمون له، ويحملون اسمه بعد موته لهذا نفهم الرغبة الملحة للآباء في رؤية ابنائهم متزوجون قبل ان يموتوا)[4].

وهذا ما يؤكده ايضا "مصطفى بوتفنوشت " بأن البناء الثقافي في الوسط العائلي الجزائري يحبذ الإنجاب ويدعوا إليه حيث يقول < فإذا كانت علامات تحقيق الذات تختلف من ثقافة إلى أخرى والمتمثلة بالدرجة الأولى في المرتبة الاجتماعية الراقية، فان علامة تحقيق الذات في الوسط الجزائري هي الانجاب المترجم عبر الواقع الملموس >[5].

- كما ان محور النتيجة استغرق جميع الأمثلة أي بنسبة 100% موزعة 56% للذكور(14) بتناول مباشر (6) 43.33% بتناول غير مباشر (8) 56.66% .
- والاناث 44% (11)، بتناول مباشر (5) 45% وغير مباشر (6) 55%.

هذه النتائج تؤكد ان نتيجة العقم تظهر على الذكور أكثر من الإناث، لأن الذكر بإنجابه يضمن استمرارية العائلة، لأن المولود يحمل اسم الأب و ليس الأم و يجنب العائلة الجرح الاجتماعي، فالنسبة للجزائريين وكغيرهم من العرب، يعني الانجاب استمرارية وخلود اصل العائلة، وفي هذا الصدد يقول "مصطفى بوتفنوشت":< ورجل دون اولاد يظهر كأنه مخلوق غير تام التكوين، وامرأة دون أولاد يضعها المجتمع في مرتبة الضعف.

أي يجب اكمال الذات وإتمامها بالأولاد ويتجلى هذا فعلا في الحب إلى درجة العبادة والذي يحمله الاولياء للأبناء ورغبتهما في اكتساب اطفال كثرين و في اسرع وقت ممكن، ينتمون الى الاب وينتسبون اليه >[6].

وبالدرجة الثانية تعود النتيجة على المرأة، حيث أن المرأة العقيمة تعيش مهمشة ومحتقرة وهذا ما علق عليه الاخصائي الاجتماعي المغربي "بوحديبة" فين كتابه "الجنس في الإسلام": (المرأة العقيمة عبئ ثقيل تعيش مع أبيها واخوانها في كابوس، ولا تستطيع الا أن تكون خادمة لأزواجها السابقين فهي مهمشة في المجتمع[7].

وهذا ان دل على شيء فانه يدل على ان العقم عند المرأة يسمح للرجل بان يرفضها لانها لا تسمح له أن يبرهن على قوة رجولته، وبذلك يكون محروما مهانا، ولذا فمن النادر ان نجد رجلا يقبل العيش مع امرأة عقيم، وحتى ان وجد فان المجتمع والعائلة تضغط عليه بحثا عن الانجاب حتى تكتمل رجولته حسب تصور العائلة والمحيطين به.

فعدم قدرة المرأة على الانجاب تقابل بالحط من قيمتها ورفضها، فالزواج دون انجاب يصبح هاجسا مخيفا بالنسبة للمرأة، فهي تدرك بانها ان لم تنجب فستجد نفسها محكوما عليها بالطلاق، ومشاركتها مرأة اخرى لزوجها. وفي هذا السياق تقول "منال احمد شحاته": (فاذا كان الطفل الذي تحمله بين ذراعيها هو نفسه الذي كان موجودا بداخلها ...موجودا بجسمها ... اي انه كان جزءا منها ومن ثم فهو امتداد نرجسي لها، ذلك انه مشحون بالشحنة التي كانت تختزنها بجسمها، ويشعرها بان سبب وجودها كان بداخلها.... وان امتلاء بطنها امتلاء لحياتها في نفس الوقت ....فهي لم تعد مجرد موضوع جنسي، بل هي حاملة الرسالةو فهي تحمل بداخلها مستقبل البشرية)[8] .

أما بالنسبة لمحور الأثر فقد استغرق 24 مثالا شعبيا بنسبة 96%، وكان أثر العقم على الذكور أكبر من الإناث، حيث كان لدى الذكور 14 مرة بنسبة 56% ولدى لإناث 10 بنسبة 40% .

فالمجتمع الجزائري يضع الفرد تحت زاوية الخصوبة ويتصوره كمصدرغنى, و لهذا يظهر المعنى النفسي الاجتماعي للإنجاب حسب " عباسي زهرة " في " ان الفرد وجسمه يعتبر كملكية جماعية "[9] .

وهذا ما يؤكده ايضا "بوسبسي" في قوله<: ... في الحقيقة هذه العناصر تبين اهمية استثمار الجسم كمصدر للغنى، وكعنصر موجود في تكرار مظاهر الجسدنة عند المريض وتشرح الخطورة المحسوسة للأعراض مثل العقم وعدم القدرة[10] .

فالأنجاب بالنسبة للرجل هو ترقية اجتماعية، وحفاظ على اسمه واستمرارية للعائلة، لأن الابن هو الذي يحمل خط العائلة، وبالتالي فالذكر العقيم يشعر بالنقص والجرح النرجسي، ويسعى لتعويض هذا النقص من خلال العلاج أو إعادة الزواج لإشباع دافع الابوة وحب التملك، فالعقم مرادف لغريزة الموت والفناء وهو المهدد الرئيسي للرجولة، فإذاما حدث ان اصيب رجل بالعقم فكأنما أصيب بالخصاء الاجتماعي اي عدم قدرته على الانجاب وبتالي عدم قدرته على تحقيق ذاته.

وفي هذا السياق يقول "نور الدين طوالبي "<: كما ان كل رجل متزوج ليس له اولاد في الجزائر، هو رجل منحط اجتماعيا, وعدم القدرة على الانجاب تعاش كجرح نرجسي حقيقي، الذي لا تصلحه الا الولادة, ومادام العقم ملغي لها فان هذه القيمة الاجتماعية تسقط [11]>.

وما يمكن أن يستنتج من هذا هو أن العقم في المجتمع الجزائري هو رمز للموت والقحط وليس رمزا للحياة والوفرة، والخصوبة، فهو يعتبر وصم اجتماعي للرجل وتقصير في وجوده.

أما بالنسبة للمرأة فإنها تشعر بالنقص لعدم اشباع الامومة بسب العقم، وهكذا يبدا الخطر يهدد حياتها الزوجية وتبدا المحاولات في البحث عن اسباب عدم الحمل الذي يشكل لها قلق بالغ، فالفعل الجنسي والوظيفة التكاثرية هما من مهام المرأة الأنثوية، وهذا ما وضحه "الأشول" بقوله<: ان المرأة تنظر الى الاخصاب

والحمل كعلامة للأنوثة من الناحية النفسية، فان تخيلات الطفولة عن الحمل نجدها الان حقيقية وواقعية ويصاحب ذلك شعورها بالقدرة على الحمل وانها امرأة مهمة وكاملة، حيث تصبح بعض النساء مصدر للابتهاج والامل بالحمل، ويحصلن على متعة اشباع نتيجة هذه الخاصية الانثوية الجديدة.

فالمرأة في حالة عدم الانجاب تحمل المسؤولية و يحط من قيمتها، وهذا ما عبر عنه "مصطفى بوتفنوشت "بقوله: <والعائلة على الخصوص سيكون بها التأثير الاكبر لان ضغطها سيكون أكبر، لكي تدفع الزوج إلى إعادة الزواج حتى وإن كان مرتبطا عاطفيا بزوجته[12].

أما بالنسبة لمحور المفاضلة بين الجنسين فقد استغرق ثمانية امثال شعبية كلها تفضل الذكور اي بنسبة 32% من 25 مثلا.وهذا ما يؤكد هيمنة قيمة الذكورة في المجتمع الجزائري، وهو ما يعكس طبيعة القيم الاجتماعية والمعتقدات السائدة، والثقافة التي تمنح الذكور قيمة تفضيلية ترجع للشعور الجمعي ي وفي هذا الصدد يقول **لاكوست ديجاردان** "Lacoste Dugardin " (الأطفال هم دائما متمنون كثيرين، خاصة الذكور الذين يزيدون حظوظ العطاء للعائلة من مصادر مختلفة، ويشكلون دائما تأمين وضمان للشيخوخة للوالدين الذين يزيد املهم في الحياة)[13] .

فالمجتمع الجزائري مجتمع ذكوري قائم على خط الأب لذلك يفضل انجاب الذكور، الذين بدورهم يحملون اسم العائلة وهم ضمانة لاستمراريتها .وفي هذا الصدد يقول "مصطفى بوتفنوشت "(...:فهو مجتمع رجال ليس من الناحية الكمية ولكن من الناحية الاجتماعية، لأن السلطة دائما تكون في يد الرجل، حيث كان يقتصر دور المرأة على الإنجاب من أجل ضمان النسل العائلي، وخاصة بإنجابها الذكور، لأنها تثبت مكانتها الزوجية كلما أنجبت عدد أكثر من الذكور[14]).

منـــاقشة النتـــائج :

- **التناول السائد بين هذه المحاور هو محور المفهوم و النتيجة:**

حيث كما ذكرنا سابقا ان محور المفهوم استغرق جميع الأمثلة الشعبية، أي بنسبة 100% وكلها تحمل مضمون سلبية الذات بالنسبة للجنسيين لأن الفرد في المجتمع الجزائري يأخذ مكانته عن طريق الانجاب، وأن الانجاب يحمل معنى الوفرة والخصوبة، عكس العقم الذي يحمل معنى القحط والعدم.وفي هذا الصدد تقول "الزهرة عباسي"(:العقم مرادف للموت الاجتماعي... والمهم هنا بأن الفرد دون طفل هو فرد دون مكانة)[15] .

وهذا ما اتفق مع النتائج التي توصلت اليها دراسة" محمد بن خلفة" تحت عنوان التصورات الاجتماعية للعقم لدى سكان بلدية الفيض والتي أسفرت على أن العقم يعد بمثابة خصاء اجتماعي، ويحمل دلالات نفسية هي الشعور بالنقص، ودلالات اجتماعية وهي توقف وعدم استمرارية العائلة[16].

وهذا ما اتفق أيضا مع دراسة "منال أحمد شحاتة" تحت عنوان: (أثر الحرمان من الانجاب على مفهوم الذات لدى المرأة). والتي أسفرت على أن ذات العقيم تتميز بـ: العجز والقصور، ذات تعاني من فقدان القيمة، ذات دونية مرفوضة، ذات تعاني التهديد وتتوقعه. أما عن دلالة غياب الطفل فيعني: العدم، الموت وهي حية، التوقف وعدم الاستمرارية، فقدان القيمة والمكانة، فقدان حب الذات[17] .

وهذا ما اتفق أيضا مع نتائج دراسة (Mation Droz et Mendelzueig)

تحت عنوان : (المرأة الكاملة، نصف المرأة، المرأة العجوز – التصور الاجتماعي للأنوثة في المجتمع الصقلي حيث اسفرت على :

- أن المرأة الكاملة مرتبطة بقدرتها على الانجاب .
- أن المرأة الكاملة هي المرأة التي تنجب الاطفال .

- أن المرأة التي لا تستطيع الانجاب تعتبر نصف امرأة[18] .
- أما بالنسبة لمحور النتيجة فقد استغرق جميع الأمثلة الشعبية أي بنسبة 100% ولكن النتيجة تعود أكثر على الذكور بنسبة 56%، لأن الذكر هو الذي يحمل اسم العائلة ويضمن استمراريتها.

وهذا ما عبر عنه "مصطفى بوتفنوشت" بقوله):(الزوج في المجتمع الجزائري هو زوج منجب ..... ويعبر عن فحولته) [19]. فنظام الاسرة في المجتمع الجزائري يقوم على السلطة الابوية المطلقة وعلى خط الذكور، لأن الأسرة أكنانية النسب فيها ذكوري والانتماء أبوي[20].

وهذا ما اتفق مع نتائج دراسة "بن خلفة محمد" حول التصورات الاجتماعية للعقم والتي اسفرت على ان العقم بالنسبة للرجل هو قتل رمزي للرجولة، وتوقف وعدم استمرارية العائلة .

وتحصل الإناث على نسبة 44% حيث أن العقم قد يعرض المرأة للطلاق، أو مشاركة امرأة ثانية لها زوجها، أو الجرح الاجتماعي بسبب فقدان مكانتها التي تسقط في غياب الانجاب.

وفي هذا الصدد تقول "منال احمد شحاته": (.....فدلالة الطفل في حضوره هي منح مرأة مشروعية وجودها..... اما دلالته في غيابه فهي العدم، ففقدانها للطفل إنما هو النواة للفقدان اللاحق والمتمثل في الزوج ومن ثم الذات والوجود باسره، ففقدان الطفل يعني التوقف وعدم الاستمرارية، بل الموت وهي حية، وذلك أن وجودها الفعلي يحمل في طياته العدم وليس الوجود، فالعقم يساوي العدم)[21] .

- **ترتيب المحاور يكون بالشكل التالي: المفهوم، النتيجة، الاثر، السبب، المفاضلة بين الجنسين.**

حيث استغرق محور المفهوم جميع الأمثلة الشعبية أي بنسبة 100% ومحور النتيجة استغرق خمسة وعشرون مثلا أي بنسبة 100% ومحور الأثر استغرق أربعة و عشرون مثلا بنسبة 96% ثم يأتي محور المفاضلة بين الجنسين الذي استغرق ثمانية أمثال بنسبة 32%.

فكما وضحنا سابقا فان العقم بالنسبة للفرد الجزائري ذكر كان أم أنثى هو نقص وحط من المكانة الاجتماعية وسلبية للذات. كما ان النتيجة تعود على الذكر بالدرجة الأولى لأنه يحمل اسم العائلة، وعقمه يمثل انقطاع السلالة واللاوجود، لأن الأسرة الجزائرية أسرة أبوية تقوم على خط الذكور.

أما بالنسبة للمرأة فيسبب لها جرح نرجسي وشعور قوي بعدم الكمال إلا أن هذا العيب يبقى معها لأن الأولاد لا يحملون اسمها. وهذا ما اتفق مع نتائج دراسة (محمد بن خلفة) حول تصورات الاجتماعية للعقم التي اسفرت على أن 96.8%من افراد العينية يعتبرون العقم يسبب توقف وعدم استمرارية العائلة.

وهذا ما اتفق مع نتائج دراسة: (Mation Droz et Mendelueig) والتي أسفرت على أن مكانة المرأة مرتبطة بقدرتها على الانجاب، و أن المرأة التي لا تستطيع الانجاب تعتبر نصف امرأة [22] .أما بالنسبة لمحور الأثر فقد جاء ثانيا و أن أثر العقم يظهرعلى الذكر أكثر، لأن العقم يمثل له قتل رمزي للرجولة، وهكذا يتعرض لنظرة الشفقة والوصم (مسكين معندوش الذرية)، ويحاول تأكيد ذاته من خلال إعادة الزواج للحصول على الولد الذي يحمل اسمه و اسم العائلة.

أما بالنسبة لمحور المفاضلة بين الجنسين فقد جاء ثالثا بنسبة 32%وكلها تفضل الذكور على الإناث، لأن الذكر في المجتمع الجزائري هو الذي يحمل اسم العائلة و يحافظ على استمرارها، فهيمنة قيم الذكورة في مجتمع ما تعكس طبيعة القيم الاجتماعية السائدة، و الثقافة التي تمنح الذكور قيما تفضيلية ترجع إلى للشعور الجمعي.

وهذا ما اتفق مع نتائج دراسة "كوهلير " "kohlir"حول مشاعر السعادة بين الحصول على توأم أوطفل واحد، و التي أسفرت على أن الأمهات اللواتي انجبن طفلا واحدا أكثر سعادة من الأمهات اللواتي انجبن توأم، أو لم ينجبن اطلاقا. أما الرجال يكونون أكثر سعادة عندما يكون المولود ذكرا [23] .

التناول يتأثر بالجنس :

- محور السبب موزع 48% ذكور و 36% اناث، أما محور النتيجة فهو موزع على 56% ذكور و 44% اناث .
- محور الأثر موزع على 65% ذكور و 40% إناث، أما المفاضلة بين الجنسين فهو موزع على 36% ذكور و 00% إناث .

من خلال النتائج السابقة يتبين أن الجنس الذكري هو السائد في التناول، أي أنهم أكثر تأثر بالعقم لانهم يحملون اسم الأب، لأن المجتمع الجزائري مجتمع ذكوري والعقم يتسبب في انقطاع السلالة، إلا أنه في الواقع المعيش العقم أكثر ارتباطا بالأنثى.

فالمجتمع الجزائري يعرف مشكلة العقم ويخصها بالجنسين على حد سواء، إلا أنه يخص المرأة بهذه المشكلة أكثر من الرجل لأسباب كثيرة بيولوجية و نفسية واجتماعية، واهمها العلامات الجسدية للحمل التي تظهر على المرأة، ولان الرجل في الوسط الجزائري مخصب والمرأة ولود، ولا يعرف العقم إلا في اطار الزواج، وهنا تكون المرأة في غياب الإنجاب حاملة للعقم دون مناقشة ولا محاولة معرفة الأسباب، وحتى مشاركة الرجل لأنه قد حدث وإن نجح في فض غشاء البكارة، والشيء الذي يلفت الانتباه هو وجود عمل مشترك، إلا أن المسؤولية يتحملها طرف واحد هو المرأة.

فالعقم ناتج عن فردين طرفه مجهول، غير أنه معروف مسبقا، ومن هنا نكون أمام توزيع اجتماعي محض لمشكلة العقم نابع من الشعور الجمعي يقضي بأن تكون للمرأة بحكم وظيفتها (الانجاب) هي السبب المباشر للعقم.وهذا ما

توضحه "زردومي" حيث أكدت أن سلوك العائلة الجزائرية بصفة عامة سلوكا ديمغرافيا، فالأب والأم تقدر قيمتهما من خلال ما يمكنهما انجابه من أطفال، ومن هنا كانت النظرة للعقم مرادفة لنظرة الموت والفناء.ولا يزال ينظر للمرأة كمتهم أول عن العقم، فاذا ثبت عليها هذا، فهي مهددة إما بالطلاق أو بدخول امرأة أخرى في حياتها الزوجية لتحقق هذه الأخيرة ما عجزت هي عن تحقيقه، والمرأة العقيم في مجتمعنا الجزائري تعاني حيث تعتبرها الأسرة امرأة مشؤومة مكروهة[24].

مقترحات الدراسة :

نقترح دراسة المواضيع التالية:

- ✓ المعاش النفسي للرجل العقيم .
- ✓ المعاش النفسي للمرأة العقيم.
- ✓ التوازن بين النرجسية والمازوشية عند الرجل العقيم.
- ✓ التوازن بين النرجسية والمازوشية عند المرأة العقيم.
- ✓ اجهاد ما بعد الصدمة لدى المرأة العقيم.
- ✓ اجهاد ما بعد الصدمة لدى الرجل العقيم.

❖ هوامش البحث:

(1) أبو إبراهيم اسحاق بن ابراهيم الفرابي: **ديوان الأدب،** تحقيق احمد بن مختار عمر، الجزءالأول، مجمع اللغة العربية القاهرة، مصر، 2003، ص 74.

(2) ابن الأثير ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر**، تقديم و تعليق أحمد الحوفي وبدوي طيابة، الجزء الأول، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1959،ص54.

(3) اسماعيل رابحي، **الإصلاح التربوي وإشكالية الهوية في المنظومة التربوية الجزائرية**، دراسة تحليلية تقومية لفلسفة التغير في ضوء حل المشكل، أطروحة الدكتوراه في علوم النفس غير منشورة ، جامعة باتنة، 2013، ص344 .

(4) Abassi Zahra, - **"Notion d'individu et Conditionnement Sociale du corps" Psychosociologie de l'Algérie Contemporaine- 1er édition office des publication universitaires – Alger**, 2005,P52.

(5) بن خلفة محمد ، **التصورات الاجتماعية للعقم لدى سكان بلدية الفيض** – مذكرة ماجيستر في علم النفس المرضي الاجتماعي، غير منشورة، جامعة بسكرة، 2008، ص، 83 .

(6) مصطفى بوتفنوشت، **العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة**، ترجمة أحمد دمري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص324 .

(7) فطيمة ونوغي: فطيمة و نوغي: **أثر سوء التوافق الزواجي في تكوين الميل إلى الامراض النفسية لدى المرأة من خلال تطبيق إختبار** ، MMPI2، أطروحة دكتوراه في علم النفس العيادي غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014، ص 34.

(8) منال أحمد شحاته: **أثر الحرمان من الإنجاب على مفهوم الذات لدى المرأة العاقر**، مجلة علم النفس، القاهرة، مصر، 1989، ص ص 97-99.

(9) Abassi Zahra : op cit,p 27.

(10) **Boucebci– Psychiatrie Société et développement -S N E D- Alger .**1979 P 25**.**

(11) Nourdine Towalbi**, "La Circoncision Blessure Narcissique ou Promotion Sociale"- E D S N E D- Alger,** 1975 ,p 84.

(12) مصطفى بوتفنوشت: مرجع سبق ذكره، ص 321.

(13) Lacoste-Dugardin **(C)(1985)- Des mères contre les Femmes Maternité et Patriarcat au Maghreb- Paris- Ed la Découverte.**.1985 p219.

(14) مصطفى بوتفنوشت: مرجع سبق ذكره، ص54.

(15) Abbasi Zohra , op cit, p52.

(16) "محمد بن خلفة : مرجع سبق ذكره، ص ص 184 - 185.

(17) منال أحمد شحاتة، مرجع سبق ذكره، ص ص98-97.

(18) محمدبن خلفة: مرجع سبق ذكره، ص 10.

(19) مصطفى بوتفنوشت:مرجع سبق ذكره، ص321.

(20) الطيب عماري: **التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري و إشكالية الهوية،** مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة 2013 ، ص423.

(21) منال أحمد شحاته: مرجع سبق ذكره، ص ص97-99.

(22) محمد بن خلفة : مرجع سبق ذكره، ص 10.

(23) المرجع السابق، ص، 10.

(24) Nafissa Zerdoumi :"**Enfant d'hier d'éducation de l'enfant en Milieu Traditionnel Algérien"** ED- Masporo- Paris ., 1979, p 72.